ابن الأبار المؤلف

عرضنا تحت عنوان « ابن الابار الكاتب » للكتب التى ألفها ، وذكرنا منها ما وصل الينا اسمه ، وعلقنا على ما عثرنا على نصه ، مما نشر ومما لم ينزل مخطوطا . ومن مراجعة اسماء هذه الكتب يتبين لنا انه عالج فيها الفنون والعلوم الاتية :

1 ـ فن التاريخ والاخبار ، كما فى كتب التراجم : كالمعجم وتكملة الصلة ، ومعجم مشيخته ، والمعجم فى اصحاب ابن العربى ، وكتاب التاريخ .

2 ـ فن الادب عامة كما فى اعتاب الكتاب ، ومعدن اللجين فى مراثى الحسين .

3 ـ فن الشعر والشعراء كما فى الحلة السيراء ، وتحفة القادم ، وقطع الرياض .

4 ـ الحديث ، كما فى « الاربعون حديثا من الاربعين شيخا » وكتاب « المورد السلسل ، فى حديث الرحمة المسلسل » .

وهو فى تاليفه فى هذه الفنون انما سار على النهج الذى سار فيه امثاله ممن تثقفوا بالثقافة الدينية الاسلامية والعربية ، وفى جميع مؤلفاته تبدو ظاهرة مشتركة هى ظاهرة الجمع والتصنيف والترتيب ، سواء أكان يترجم للافراد دون ذكر انتاجهم الادبى ام يترجم لهم ويذكر شعرهم او رسائلهم . فعمدته فى كل هذا ما كتب قبله من كتب ، وما روى له من اخبار ومعارف ، فمثله فى هذا مثل الراوى الامين ، او كما قلنا من قبل البناء يجمع مواد البناء ثم يبنى منها البيت الذى يريده .

وهو فى تخيره رسم البيت وتصميمه مقلد ايضا من سبقه . ففى المعاجم التى كتبها لم يكن مبتكرا للطريقة ، طريقة ترتيب التراجم ، وانما اتبع طريقة من سبقوه من كتاب التراجم وهم كثيرون . ذكرهم فى مقدمات كتبه .

ومن خصائص ابن الابار فى تاليفه انه يذكر دائما سنده فى الرواية ، ومصدر معرفته . وقد كانت هذه عادة متبعة فى

التأليف، انتقلت الى تأليف التاريخ والتراجم من رواية الحديث التى يتحرى الراوى فيها الاسناد الصحيح.

ولم يكن ابن الابار مؤرخا للممالك او الدول او الامم فيرتب الحوادث ترتيبا زمنيا او مكانيا، وانما كان مؤرخ تراجم كما قلنا. ولذلك لا تكون تراجمه وحدة تاريخية، وان كانت تربطها رابطة أخرى، كالتلمذة على استاذ واحد - كما فى المعجم - او معالجة موضوع واحد كما فى اعتاب الكتاب.

وابن الابار مؤرخ تقليدى راوية يعرض الحقائق او الوقائع دون ان يعلق عليها برأيه الخاص، وليست له فلسفة فى علم التاريخ تجعله يصوغ من حوادثه كتابا يبين مواضع الضعف والقوة. ومن الانصاف الا نتوقع منه هذا، فان من كتبوا بعده من المؤرخين كالمقرى، ولسان الدين بن الخطيب لم يتمكنوا من هذا، بل كان همهم عرض الحوادث عرضا زمنيا ومكانيا، وعمدتهم الرواية، حتى ابن خلدون نفسه الذى كتب - فى مقدمته - نقدا لطريقة التاليف فى التاريخ، لم يكن فى كتابه فى التاريخ ناقدا أو صاحب فلسفة تحليلية.

وليس لابن الابار مذهب فى الادب واضح ، وليس هو ناقدا . وكل ما ألف فى الادب او الشعر انما هو عرض لتراجم ومنتخبات دون تعليق او مدح أو ذم . فهو فى هذه الحال جامع وقد يكون منتخباً أحيانا.

ويمكننا القول - اعتماداً على ما وصل الينا من مؤلفاته - إن الكتاب الوحيد الذى أنشأه انشاء هو « درر السمط فى اخبار السبط » وهو كما قلنا كتاب تاريخ يمثل معارف ابن الابار فى هذا الفن وعاطفته وحبه لآل الرسول . ولعله الكتاب الوحيد الذى وصلنا ، والذى كتب فيه من مادته المهضومة ، لا مما نقل نصاً من كتب أخرى .

ولما كانت معظم كتب ابن الابار نقلا عن مؤلفات أخرى فانه من الصعب كما قلنا الحكم على أسلوبه التأليفى مما ورد فى هذه الكتب . ولكننا نعثر أحيانا على قطع نثرية فيها شىء من قلم ابن الابار ، كمقدمات الكتب ، وتراجم بعض من عرفهم فى حياته ، ولم ينقل تراجمهم عن غيره ، وكأسلوبه فى كتاب « درر السمط فى أخبار السبط » وهو أسلوب يغلب عليه

السجع، واختيار اللفظ والمحسنات البديعية. وقد يتجنب السجع فيأتى أسلوبا سهلا واضحا يحمل الفكرة فى يسر ووضوح. وليس هذا غريبا فان ابن الابار فى كتابته التأليفية يشبه بعض من كتبوا فى عهده وبعده، كالمقرى ولسان الدين ابن الخطيب. ومن السهل عمل مقارنة للاسلوبين.

وقد ذكرنا عند معالجة كل كتاب على حدة شيئا عن الاسلوب. فنكتفى بما ورد هنالك.